Page 21

Downloaded from aijh.modares.ac.ir at 10:32 IRDT on Monday August 31st 2020

رسالة القرآن الكريم

آيةالله عبدالله جوادي آملي
الحوزة العلميّة ـ قم

تناول الكاتب دراسة جوانب من القرآن الكريم معتمداً فيه علىٰ روايات العترة الطاهرة لأهل بيت النّبيّ (ص)، و يركز الكاتب علىٰ أنّ القرآن في أي جانب منه لاينفصل عن معرفة دقيقة لأهل البيت، و عنوان المقال «رسالة القرآن الكريم» أي إبلاغ الشيء الذي يرفع الإنسان الكامل بتلقيّه إلىٰ منزلة الرسالة السامية، و يؤكّد صاحب المقال أنّ رسالة كلّ نبي هي تلقي وحيه التشريعي و معرفة رسالته منوطة بتلقيه عنه وحيه التشريعي، فإذن رسالة النّبيّ ـ ولاسيّما خاتم الأنبياء ـ ثقيلة للغاية.

وقد ورد في هذا المقال «أنّ العلّة الغائية لكلّ رسالة تكون و بقدر الدرجة الوجودية لمبدئها الفاعلي و بقدر وجود مبدئها الصوري، و بقدر مبدئها القابلي».

و يورد الكاتب تعليلاً لأفضليّة رسالة خاتم الأنبياء (ص)، و إن كان من الواجب على المؤمنين أن يؤمنوا برسل الله أجمعين، فعليهم أن يؤمنوا بأفضلية خاتم الأنبياء (ص) علىٰ سائر الرّسل(ع)، و إن بدا تفاضل بين رسالة الأنبياء و كتبهم فهو يعود إلىٰ أنّ الدين الإسلامي هو أدقّ الأديان السّماوية؛ و بما أنّ الدين جاء لتهذيب القسم الثابت من الإنسانية فلا يطرأ عليه تغيير، لأنّ الفطرة الإنسانية التي هي موضوع تنمية الدين «لا تتبدّل» و إن شوهد علىٰ مرّ العصور اختلاف طفيف في رسالة الأنبياء ذلك يعود إلىٰ الشرعة و المنهاج لا إلىٰ مايكون ثابتاً في الدين.

وأخيراً يقع المقال في مقدّمة و فصول ستّة:
رسالة القرآن في الهداية، في المعرفة، في المعاشرة، في المعيشة، في السياسة و في الثّقافة.

إنّ أفضل معرف لشرح أوصاف القرآن الكريم هو القرآن المجيد نفسه. و اذا ما شوهد وصف للقرآن في أحاديث العترة الطاهرة(ع) فإنّه بالاستناد إلى القرآن نفسه أيضاً، ولكن الاستنان منه يقع علي عاتق صنوه، أي الثقل الأصغر أي أهل بيت الرسول (ص)، والذين هم بدورهم القرآن الناطق، ولاينفصلون عن القرآن في أيّة مرحلة من مراحل كمال الوجود، ولن ينفصل عنهم في أي مقام من المقامات الوجودية. و إن كان في القرآن كمال تفتقده العترة الطاهرة(ع) أو كان كمال في العترة الطاهرة لايحتويه القرآن فلابدّ من انفصال هذين الوزنين الوزينين اضطراراً، و هو مايرده نص النّبيّ الأكرم المتواتر أبد

Downloaded from aijh.modares.ac.ir at 10:32 IRDT on Monday August 31st 2020

الآبدين.

وما يهمّنا حالياً هو رسالة القرآن الكريم، أي ابلاغ الشيء الذي يرفع الانسان الكامل بتلقيه إلى منزلة الرسالة السامية، ذلك أن رسالة كل نبي هي تلقي وحيه التشريعي التي ستكون نص الابلاغ وجوهر الرسالة، ومعرفة رسالة كل نبي منوطة بمعرفة وحيه التشريعي. اذ إن نزول كل وحي يتناسب مع استيعاب وجود ذلك الانسان السامي. ويمكن ادراك وتمييز أنواع الوحي بعضها عن بعض بتفاوت الأنبياء: ﴿**فضّلنا بعض النّبيّين على بعض**﴾(١) و تمايزهم: ﴿**تلك الرُّسل فضّلنا بعضهم على بعض**﴾(٢) ذلك أنّه وإن اختلف الوحي فالهدف مشترك. ولكن أنواع الوحي تختلف في السعة والضيق وليست متماثلة في اللّحن والعمق.

وبناء على هذا فإنّ أكمل الناس يتلقى أكمل الوحي. وهو يملك مُهر النّبوّة، بسبب شمول رسالته واستمرارها، ويحمل دائماً علامة ختم النبوة هذه، وهو يشعر بثقل مسؤولية مهر النّبوّة والرسالة الختمية التي أنزلت على المجتمعات البشرية على مرّ العصور: ﴿**إنّا سنلقي عليك قولاً ثقيلاً**﴾(٣)، فرسالته ليست للحاضر والمستقبل بل لابدّ أن تكون ميزاناً قوياً لكل ماجاء به الرسل السابقون وليس هذا في حدود التصديق المحض بل في حد الرئاسة والهيمنة والادراة والمحافظة الكاملة، كي يتم صيانة مابقي من سوء التحريف ولغو المحدثين. وليشرح كل مازال من الخواطر أو لم يفسر تفسيراً صحيحاً. ولتحفظ سلسلة الرسالات بقيادة أفضلها ألا وهو القرآن، إذ أن سلسلة الرسل محفوظون بارشاد قائدهم: ﴿**وأنزلنا إليك الكتاب بالحقّ مصدّقاً لما بين يديه من الكتاب ومهيمناً عليه**﴾(٤).

إنّ العلّة الغائيّة لكل رسالة تكون بقدر الدرجة الوجودية لمبدئها الفاعلي، أي رسالة المرسل، وبقدر وجود مبدئها الصوري أي محتوى الرسالة وعصارة مضمونها، و بقدر سعة مبدئها القابلي، أي الروح المجرّدة للإنسان الكامل التي تتقبّلها. ومع أنّ جميع الرسالات السماوية متضمنّة لعظمة المبادئ الأربعة المذكورة، ولكن سيتبين بعد التحليل النهائي انّ هذه الرسالة الإلهية الأخيرة لاتماثلها أيّة رسالة أخرى، وستبقى مزية آخر رسالة محفوظة في جميع المبادئ الأربعة على كل الرسالات السابقة.

أمّا فيما يتعلّق بالمبدأ الفاعلي فمع أنّ الله تعالى مبدأ جميع الرسالات غير أنّ الله يظهر في كل رسالة باسم خاص من الأسماء الحسنى الإلهية. وبما أنّ هذه الأسماء ليست متماثلة، فلن يكون المبدأ الفاعلي للرسالات متساوياً أيضاً في جميع الحالات. ذلك أنّ الرسالة الصادرة من الاسم العظيم ليست مماثلة للرسالة المنبثقة من الاسم الأعظم، لأن الاسم العظيم لايساوي الاسم الأعظم، أمّا بالنسبة للمبدأ الصوري أي محتوى الرسالة فكما أشرنا الآن فإنّ مضمون الأمر الذي يوجه من الاسم الأعظم أفضل من محتوى الأمر الذي يصدر من الاسم غير الأعظم.

وفيما يتعلّق بالمبدأ القابلي أي الروح المجردّة للانسان الكامل، التي هي مستقر الوحي الالهي، فإنّ الرسالة التي يتلقّاها أكمل الناس، أكمل من أية رسالة يتلقّاها انسان آخر، أي الإسلام الأصيل هو دين الله: ﴿**إنّ الدّين عندالله الإسلام**﴾(٥)، وهو ماتلقّاه جميع الرّسل الإلهيين وأبلغوا الأمم به، ولا شكّ في تفاوت مراتبه في البطون والعمق وكذلك تعالي درجاته في الصعود والرقي.

أمّا بالنسبة للمبدأ الغائي، أي الباعث النهائي ـ وهدفه الوجودي، فلمّا كان بمقدار المبادئ السابقة وهي في أوج كمالها. فالمبدأ الغائي لآخر رسالة يكون في ذروة الكمال، ولايتسير للصالحين السالكين أفضل منه. وإلاّ فلن يكون آخر دين. لأنّ سنّة الحق التي لا تتغيّر ولا تتبدّل هي أن توصل كل موهبة إلى الفعل ولا ترضى بحِرمان أي مجتمع.

ومن هنا يمكن ادراك العبارة التي وردت في الدعاء السابع والعشرين من رجب الأصّبّ الذي هو ذكرى بعثة خاتم الأنبياء: «**اللّهمّ إنّي أسألك بالتجلّي الأعظم...**»(٦)، ذلك انّه و إن كان المتكلّم يتجلّي في كلامه كما ورد في نهج البلاغة: «**فتجلّى لهم سبحانه في كتابه من غير أن يكونوا مراده**»(٧)، إلاّ أنّ جميع التجلّيات ليست متماثلة، وأكملها ما نزل على قلب

Downloaded from aijh.modares.ac.ir at 10:32 IRDT on Monday August 31st 2020

أكمل الرسل: ﴿**نـزل به الـروح الأمين على قلبـك لتكون مـن المنذرين**﴾[٨].

والنقطة المهمة التي لاتخلو الاشارة اليها من فائدة في هذا البحـث أنّ المؤمنين و إن كـان مـن الـواجـب عليهـم الايمان بجميـع الأنبيـاء وألاّ يفرّقـوا بينهـم ﴿**لا نفـرّق بين أحـد مـن رسله**﴾[٩]، ﴿**والّذين آمنوا بالله ورسلـه ولم يفرّقوا بين أحد منهم أُولئك سوف يـؤتيهم أُجورهم وكـان الله غفوراً رحيما**﴾[١٠]. إلاّ أنّ عدم التفضيل هذا يتعلّق بأصل الرسالة ومتن النبّوّة، وليس بدرجتها، و إلاّ كان من الضروري الايما ن بالدرجة الخاصة لكل منهـا كما يجب الايمان بأصلهـا. وذلـك للتمييز بين أُولي العـزم وبين غير أُولي العزم، وبالتالي تفضيل خاتم الأنبياء(ص) على غيره وفي النتيجة يتبيّن الأفضل من غير الأفضل وهكذا يتضح فضـل رسالـة خـاتم الأنبيـاء(ص) على رسـالات الآخريـن و تنكشف مسئولية حفظها واطاعتها وتعميمها وتعميقها.

ولا يمكن الفصل بين دراسة هدف القرآن وبين التحقيق حول أهداف سائر الكتب السماويـة لأنّها نزلت جميعها لتعليم الانسان وتزكيته، وموضوع رسالتها قيادة البشر. وليست لحقيقة البشر نشأة غيب مجرّدة تامّة كبعض الملائكة ولا تشبه الحوادث الطبيعية كالنبات حيث هي مادية صرفة. ولا هي مجرّدة ومادية معاً حيـث إنّ كثرتها حقيقة ووحدتها اعتبـارية بل هـي وحدة حقيقية منبسطـة ذات شؤون كثيرة. وهي تـدير جميـع الشؤون الادراكيـة والتحـريكيـة، وقد اختُزن في أعماق جـوهـر روحهـا الفطرة التـوحيديـة التي لا تتبدّل. وارتبطـت رحاب وجـودها بالطبيعة السيالة.

ولمّا كان حيّز تربية الـوحي السماوي هي حقيقة الانسان وهو واقـع البشر الذي أُشير اليـه عامـة، لذلـك فإنّ ديـن الله سبحانـه هو الـدين الاسلامـي الخالص ولا غير. ظهـر في كل عصر بشكل وحي تشريعي وكتاب سماوي. ورسمت خطوطه العـامة التـي تعود إلى الفطـرة التـي لا تتبدّل ولا تـزول باسـم الـدين. وليـس مـن اختـلاف بين ماجـاء بـه الـرسل في هـذا الخصوص: ﴿**إنّ الدين عند الله الإسلام**﴾ و إذا ما بدا تفـاضل بينهـا، فيتعلّق بـالـدقيـق والأدق منها، ويعـود الى الاختـلاف الطولي لمعارفهم. و إلى خطوطها الجزئية التي توفر حاجات قسم الانسانية السيال الذي تعرض لتغييرات بسيطة خلال العصور التي عـرفت بـاسم الشِّرعـة والمنهاج، ﴿**...لكلّ جعلنـا منكم شِرعةً و مِنهاجاً**﴾[١١].

ولمّا كان الدين لتهذيب القسم الثابت من الانسانية، فلا يتطرّق إليـه النسخ. لأنّ الفطـرة الانسانيـة التي هـي موضـوع تنمية الدين لا تتبدّل ﴿**لا تبديلَ لخلقِ الله**﴾[١٢]، ولذلك فإنّ العلاقة بين رسالات الأنبياء هي التصديق، فلا يعثر على عبارة تدلّ على نسخ الدين السابق وابطاله وازالته في كلمات الرسول التالي. ولمّا كانت الشريعة تزكية الجزء المتغيّر من الانسانية فإنّها تقبل النسخ. ذلك أنّ النسخ الالهي قد يحدث في محال الشريعة الـواحدة أحيـانـاً و إن كان النسـخ في هـذه المواضع يعـود إلى التخصيص الزمـاني. ومن هنا يتبيّن سرّ العبارة، حـول ارتباط القرآن بـالكتب السماويـة وما لم يحرف مـن رسالات السلـف: ﴿**مصدّقاً لما بين يـديه**﴾ أي حيثما يجري الحديث عـن الديـن وخطوطه العامة تتجسّد مسألة التصديق وليس النسخ وأمثاله، وحيثما يجري الحديث عـن النسخ، ينبغي البحث عنـه في اطار الخطوط الجزئية فقط التي تسمى المنهاج والشِّرعة.

ويمكن بشرح الفرق بين الدين والشريعة والتحقيق حول حدود كل من التصديق والنسـخ واثبات وحدة الدين والتعدّد الإجمالي للشرائع أن يظهـر سرّ الاختلاف بين مجال التصديـق ومحور المحو والنسخ كما يتبيّن ضرورة الاهتمام بأ هداف الأنبياء الماضين واغـراض كتب السلـف السماويـة في ايضاح هـدف النّبيّ الأكرم(ص) وهـدف القرآن الكريم، وكـذلك سرّ الختم برسـالة محمّد بـن عبدالله(ص)،لأنّ الله تعـالى حينما يعلم الحدّ النهـائي لتطـوّر البشر: ﴿**ألا يعلـم مـن خلق وهـو اللّطيـف الخبير**﴾[١٣] ينزل القوانين العامة والقواعد الأصولية التي يكون لكل منها فروع كثيرة، ويرشد إلى طريق الاجتهاد، ويوجب طيّه على الذين يملكون قدرة الإستنباط، وذلك لفهم الحكم الالهي من نصوص المصادر باطّلاع كامل على حدود الموضوع وشروطه وشطره، وادراكه بدون هجوم اللّوابـس الزمانية والمكانية، وكما أنّه أنزل سـورة التوحيد وأوائل سورة الحديـد لتعليم المتعمّقين

Page 21

Downloaded from aijh.modares.ac.ir at 10:32 IRDT on Monday August 31st 2020

في آخر الزمان ولكي ينهل أبناء المستقبل البعيد من فيض زلال زمزمة الوحي فإنّه ينزل أيضاً الأُصول العامة، لإفهام الباحثين عن المسائل الفقهية، وكيلا يحرم المستنبطون خلال طول التاريخ من غنى وقوة الكتاب والعترة، ولتتم ادارة النظام الاجتماعية في نور الأحكام الاسلامية.

وبناء على هذه المقدّمة العابرة ندخل في صلب الموضوع، لنتطرق إلى اساس بحثنا وهو رسالة القرآن الكريم، في عدّة فصول:

الفصل الأوّل:
رسالة القرآن في الهداية

يشير القرآن الى أنّ الانسان يسير نحو هدف أبدي ﴿**يا أيُّها الانسان إنّك كادح إلى ربِّك كدحاً فملاقيه**﴾(١٤)، ولا يكون سلوك بلا طريق ومرافق وزاد وامام و مرشد و... وتعدّد هذه الأمور المذكورة جائز في الطرق الاعتبارية أو الحقيقية المادية وانفصال بعضها عن بعض ولكن لا يمكن تصوّر هذا في الطريق الحقيقي والالهي الذي لا يتمايز من السالك، وسيره في العقيدة والأخلاق والأعمال التي تعتبر جميعها من شؤون وجوده وستتبدل في المستقبل القريب من الحال إلى الملكة، وتتحول من العرض إلى الجوهر، وتصبح ذاتية بعد أن كانت عرضاً، وتسلك طريقها من خارج الوجود الى باطنه الذي هو غير المفهوم والماهية تصبح مقوم وجودها، وأخيراً تغدو الصورة الظاهرة في الحشر الأكبر نظير سيرة الباطن، ويحشر كل انسان تبعاً لسيرته الجوهرية أي أن السالك والمرافق والزاد والمنازل ونهاية الطريق كلها وكلها تكون واحدة يعلمها الله بواسطة انبيائه المعصومين، ولا يجدر بأحد هداية الانسان سوى الذات الأقدس سبحانه. ذلك أنّه الآخرين لا يهتدون بدون هدايةالمرشد. ومن يكون ذاتاً غيرمهتدٍ وبحاجة إلى الهداية لا يملك القدرة على هداية الآخرين. وبما أنّ الله سبحانه مهتدٍ ذاتاً وكل أعماله على صراط مستقيم بدون أمر من الغير ﴿**إنّ ربّي على صراط مستقيم**﴾(١٥)، لذلك ينحصر به حق هداية الآخرين ﴿**أفمن يَهدي إلى الحقّ أحقّ أن يتبع أ مّن لا يَهدي إلاّ أن يُهدى**﴾(١٦)، والمراد من الأحقّية في هذه الآية هو التعيين وليس التفضيل، مثل: ﴿**أولوا الأرحام بعضهم أ ولى ببعض**﴾(١٧)، إذ ليس للآخرين حقّ الهداية أبداً، لأنّ كل ما بالعرض لابدّ أن ينتهي الى ماهو بالذات وعلى هذا فالهداية هي ذلك الهادي بالذات، التي يعرضها الهادون بالعَرَض وليست هداية أخرى: ﴿**إنّ هُدى الله هو الهُدى**﴾(١٨).

ولمّا كان القرآن هداية إلهية، حيث يكون المهتدي بالذات والهادي الذاتي مصونان من شر أيّ جهل وخطأ وسهو ونسيان. ومحفوظان من كل تخلّف أو اختلاف، ﴿**لايأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه**﴾(١٩)، لذلك نُزّل لهداية جميع الناس، ﴿**هُدىً للنّاس**﴾(٢٠)، وإن كانت فئة خاصّة تستفيد منه... ﴿**هدىً للمتقين**﴾(٢١)، ولمّا كان يملك كل أسباب الاعتلاء فإنّ طريقة قيادته أفضل طرق الهداية بحيث لايمكن تصوّر أو تيسر مرشد أفضل منه: ﴿**إنّ هذا القرآن يهدي للّتي هي أقوم**﴾(٢٢)، ولذلك فإن للانسان سير عمودي من أحط منزلة الى أعلى مرتبة في عالم الامكان، ﴿**هل أتى على الإنسان حينٌ من الدّهر لم يكن شيئاً مذكورا**﴾(٢٣)... ﴿**يا أيّتها النّفس المطمئنّة ارجعي إلى ربّك راضيةً مرضية فادخلي في عبادي و أُدخلي جنّتي**﴾(٢٤)، ومن الضروري أن يكون برنامج هداية البشر، كتاب، يتّصل من طرف النزول بالطبيعة ويستمد من النشأة اللّفظ والكلام السيال والمفاهيم الاعتبارية، وأن يرتبط من طرف الصعود بما وراء الطبيعة وأن يتخطّى حدود اللفظ والعناوين الاعتبارية، كما ورد في حديث الثّقلين وأمثاله أنّ: «**القرآن حبل الله الخاص، أحد طرفيه بيدكم والطرف الآخر بيد الله تعالى**»، فكما أنّ نشأة الانسان الطبيعية تتّصل بنشأة ماوراء الطبيعة، ولا يتيسّر وصوله الى مقام التجرّد العقلي بدون العبور من حدود الحس، فليس بالمستطاع الوصول إلى باطن القرآن بدون حفظ ظاهره والعمل به. وكما أنّ أسرار البشر الروحية بأي شكل كانت تكشف عن نفسها في الحيز الجسمي، فإنّ معارف القرآن العميقة تظهر نفسها بشكل ما في طيّات الكلمات لذلك فإنّ عامة الناس يستفيدون من القرآن، بما يتناسب ومقدار علمهم، فالخواص ينهلون من اشاراته ويهب الأولياء من

Downloaded from aijh.modares.ac.ir at 10:32 IRDT on Monday August 31st 2020

Page 21

لطائفه ويرتوي الأنبياء من حقائقه.

إنّ هدايـة القرآن التي هي كـلام الله، هي آية هدايـة من أنزلـه أي هدايـة الله تعالى العينيّة، تظهـر في كل لحظـة بشكل خاص، وتوفـر الحاجة التكوينية لكل محتـاج مستعد ومستحق يطلب شيئاً بلسان الإستعـداد ولسان الحال. وهـداية القـرآن العلمية تتجلّي في كل وقت بشكل خاص، وتجيب عن السؤال العلمي لكل مبصر، واذا أردنا البحث في عـالم العلم عن دليل **﴿يسأله مَن في السموات و الأرض، كلُّ يومٍ هو في شأن﴾**(٢٥). فإن الكتاب الـوحيـد الذي يتضمّن القـدرة على ابـداء رأي حـول جميـع المدارس العقـائديـة والثقـافيـة والاقتصـاديـة والعسكـريـة والسيـاسيـة، ورسم الخطـوط العـامـة لصحتهـا وسقمهـا، و ارجاع خطـوطهـا الجزئية إلى اجتهـاد المستنبطين العالمين بالباطن والمفكريـن به، إنما هو القرآن الكريم، وإلاّ لَما كان كتاباً خالداً.

وكما أنّ ألسنة مواهـب الأمور التكوينية مختلفـة والأجوبة التـي تفيض منهـا في النتيجة ليسـت واحدة فـإنّ لسان حـال السـالكين الى الحق ليـس واحـداً في بيان المعـارف القـرآنيـة. والأجوبة التـي يتلقونها منهم ليس مسـاوية ايضاً،و بما أن همم السالكين لتهذيب النفس مختلفة فالفيض الذي يكون نصيبهم ليس متسـاوياً أيضـاً، وقد أشير بشكـل عام مثـلاً الى طريقـة هداية القرآن الباطنية في السورة الكريمة **﴿إن تتّقوا الله يجعل لكُم فرقانا﴾**(٢٦)، ولكنّ صفـة أهل التقـوى أن يتخلّصوا مـن جنـود الجهـل العملي، ويلتحقوا بجيـش العقـل العملي، وأن يتزوّدوا في أعمالهم بالاخلا ص والصفاء والوفاء والرضا وأمثالها، ولكـنّ الهمّة العليـا لأحـد المتّقين أن ينتصروا في ميدان العلـم بـالاضافـة إلى الظفـر في ساحـة العمـل والـوصول إلى منـازل السائرين الى الله العملية، وأن يتخلّصوا من شرّ الوهم النظري ومن بلاء الـوهم العملي، وأن يتحرّروا من هجمات المغـالطات الفكرية ويصلوا إلى البراهين العقلية، وأن يرحلوا عن عالم تمثّل الصور النفسانية ويصلوا إلى الأمثلة الصادقة، وأن يعرجوا منها إلى مافوق المثـال المقيّد والمطلق. ويقولـون ما قاله الحارثـة بن مـالك: «كـأني أنظر إلى عـرش ربّي قد وضـع للحساب» ثـمّ يسافروا، مـن منزل (كأنّ) الذي هو مقـام الإحسان ليصلوا إلى منزل (إنّ) الذي يمكن سلوكه والـوصول اليه وعندئذ يتبين ما يمكن كسبه مـن معارف عميقة من الآيـة الكريمة: **﴿إنّ هذا القرآن يهدي للّتي هـي أقوم﴾**، وما يمكن استنباطـه من فروق وافرة بين المفاهيم الحصولية للناظرين وبين المشاهد الحضورية للمبصرين، من جملة **﴿يجعل لكم فرقاناً﴾**.

وكما أنّ الترابط التكويني بين كل أرجـاء الوجود يساعده على الوصـول إلى الفيض، فإنّ لزوم الـوحدة والتنسيق الكـامل بين طالبـي العلوم القرآنية يسـاعدهم على فهم أفضـل معاني الوحي السماوي السـامية لذلك يـدعو القرآن الكريـم الجميع إلى الاعتصام بهذا الحبـل المتين. وليس معنـى اعتصام الجميـع بالحبل السماوي المتين أن يسعى كـل شخص وحده منفرداً إلى الاستفادة من القرآن وأن يكتفي بتفسيره الخاص له، وإنّما المراد أن يفهم الجميـع القرآن ليمكن في ضوء تضـارب الآراء وتبدل الأفكار تـوجيه أسئلة أعمـق حوله وتلقـي أجابات اكثـر دقة وفـائدة، بحيث تتّفـق مع مستـوى أفهـام العامـة وتتّسق مـع مجالات الأفكار العامة وتتناسب مع عمق روح الجميع، وتوافق أوج عـروج الشاهـديـن، ولا تخالف متـن شهـود الشـاهديـن الصادقين، ذلك لأنهّم لجأوا جميعاً إلى رحاب القرآن والعترة في ظل الايمان بهما، والعمـل بموازيـن الشريعة، والاستمـداد من قواعـد المحاورة، والاستظهار بـاسلوب المحـاضرة، واستنطاق الخطابات السماوية عن طريـق المشافهة المألوفة والممضية(٢٧) والمرضية.

إنّ دراسة هـداية القرآن التـي هي رسالتـه الأُولى، دراسة كاملة تحتـاج إلى رسالة مستقلة، ولكنّنا نكتفـي هنا بهذا القدر، وعلى الفصول التـالية التـي هي بمنزلـة شجرة طـوبى هـداية القرآن، بيان مافات ذكره من المواضيع. فرسالة القرآن في التربية لاتحتـاج الى فصل مستقـل فقط بـل تتطلب رسـالة مستقلـة، ولكن يمكـن برسـم الخطوط العامـة لها في هذا الفصـل والتي تختص بالهداية، وكذلك ضمـن الفصول الأخرى التي سيكون لكل منها اسم خاص وموضوع مستقل، ايضاح بعض المسائل التربـويـة في الاسـلام، ذلـك انّ التعـرف على أسـاس التربيـة

Downloaded from aijh.modares.ac.ir at 10:32 IRDT on Monday August 31st 2020

سيجعل با لمستطاع استنباط خطوطها الجزئية.

الفصل الثاني:
رسالة القرآن في المعرفة

إنّ القرآن الذي هو تجسيد للعلم يدعوا المجتمعات البشرية اكثر من كل شيء إلى طلب العلم، لأنّ مصباح هدايته يزداد تألقاً بالادراك العلمي، والقرآن وإن كان مرشداً ومبشراً ونذيراً للعالمين... ﴿**ليكون للعالمين نذيراً**﴾[٢٨]، إلاّ أنّ المستفيدين منه أولئك الذين يخشون النار ﴿**إنّما أنتَ مُنذر من يخشاها**﴾[٢٩]، والذين يخافون لهيب النار ليسوا كثيرين، وأهّمهم العارفين بالله سبحانه، ويعلمون أحكامه وحكمه ﴿**إنّما يَخشى الله من عبادِهِ العلماء**﴾[٣٠]، وإنّ أجدر الأصحاب في ظلّ الايمان بالله والخوف منه هم الملائكة القائمون للشهادة في ميدان أبرز العلوم الإلهيّة اي التوحيد، والذين تصل شهادتهم إلى مسامع أفئدة المبصرين، ممهورة بتأييد الإله الواحد ﴿**شهد الله أنّه لا إله إلاّ هو والملائكة وأولوا العلم قائماً بالقسط لا إله إلاّ هو العزيز الحكيم**﴾[٣١].

ورسالة القرآن في الدعوة الى العلم والمعرفة تشتمل على جميع أركانه أي تشتمل من جهة على المبدأ الذي هو الله سبحانه وأسماؤه الحسنىٰ ومظاهرها المختلفة والتي يعبر عنها بعلم المبدأ، وكذلك تشتمل المعاد الذي هو نفس المبدأ وتريه بأسماء حسنى أخرى للّه تعالى، وتشتمل على المبدأ والمعاد اللذين هما مظاهر اسماء حسنى أخرى للّه سبحانه، كما تُعلِّم ضمن ذلك على الكون وعلم الانسان اللذين يعتبر كل منهما بدوره مظهر اسم من الأسماء الالهية المباركة، وتبيّن طريقة خلق وتربية كثير من الموجودات من ذات النسمة ومن غير ذات النسمة لشرح آيات الآفاق والأنفس.

وهي علاوة على الاشارة إلى المباحث في تحليل مسائل علم المعرفة بصورة أشكال منطقية دقيقة، ورعاية شروط المنطق الصوري فإنها تولي أهمية قصوى إلى القسم المهم من المنطق الذي يعتبر أصحاب الرأي اسلوبه العلمي جزءاً من فريضة مباحث المنطق، والأقسام الأخرى جزءاً من نافلة مسائل المنطق، وهي من خلال ذلك لا ترى أنّ الحسبان والزّعم والظّنّ الواهي غير كاف فقط بل تعتبر الظّنّ الذي يصاب به كثير من العلماء نقصاً ولافائدة للظن في التحقيق حول المسائل المتعلقة بالعالم، وقد نزلت في ذلك آيات كثيرة تعتبر الظن كالخَرْص والتخمين والعمل به ضلالاً، وتدين عبادة الظّنّ وهوى العبادة. والآيات التالية نموذج لذمّ الظّنّ وعدم حجّيته في المسائل العقائدية وعدم الاعتماد عليه في مباحث علم الكون، ﴿**إن تتّبعون إلاّ الظّنّ وإن هم إلاّ يخرصون**﴾[٣٢]، ﴿**وما يتبع أكثرهم إلاّ ظنّاً إنّ الظّنّ لا يُغني من الحقّ شيئاً**﴾[٣٣]، ﴿**إن يتّبعون إلاّ الظّنّ وما تَهوَى الأنفس**﴾[٣٤]، لما كان الجزم لايتم من الصور الفاقدة لشروط الانتاج، ولا يحصل التعيين بالظّنّ، فإنّ هداية القرآن الكريم ورسالته في بيان علم المعرفة ان تقيم الأساس على الصور التي فيها شرائط الانتاج الجزمي والمواد الصالحة لإفادة اليقين، والمستفيدون منها تعتبرهم متقين لايدورون حول محور الحسّ ولايحسبون بين جدران الطبيعة ويؤمنون بما وراءها حيث منطقة الغيب والعقل ﴿**يؤمنون بالغيب**﴾[٣٥]، ولا يكتفون بالظّنّ فيما يتعلّق بالقيامة بل يصلون الى حدود اليقين ﴿**و بالآخرة هم يوقنون**﴾[٣٦]، وهم في ظل علم المعرفة لايفرّقون بين الظّنّ المتاخم الذي يكون نفوذ الشبهة فيه مستبعداً لامحالاً، وبين اليقين الذي يكون نفوذ الشّك فيه مستحيلاً لا بعيداً، ولا يحسبون الظّنون المتراكمة يقيناً، ولا يعتبرون البعيد ممتنعاً فكما أنّ القرآن الكريم يعتبر الفكر الخالص، مجال حصول المبصرين على اليقين فإنّه يرى أنّ الذكر والشكر الخالصين هما الوسيلة لحصولهم على اليقين. ذلك انّه بعدما حدث لابراهيم الخليل(ع) الذي هو نموذج كامل لأُولي الأبصار، وكان شاهداً لملكوت السماوات والأرض وبلغ اليقين الشهودي والجزم البصري عن هذا الطريق ﴿**وكذلك نُرِيَ ابراهيم ملكوت السموات والأرض وليكون من الموقنين**﴾[٣٧]، فإنّه يدعو جميع أُولي الأبصار للنظر في ملكوت السموات ليصلوا من منصّة القفز هذه إلى مقام اليقين المدرك والجزم النظري، وإن كان الوصول الى مقام الجزم البصري بدوره سيصبح ممكناً ﴿**أوَلَم ينظروا في ملكوت السموات**

Downloaded from aijh.modares.ac.ir at 10:32 IRDT on Monday August 31st 2020

والأرض﴾(٣٨).

كما يدعو جميع سالكي طريق الحق الى الذكر والعبادة الخالصة، ليصلوا عن طريق الذكر والشكر كطريق الفكر والشعور الى الدرجات العالية من اليقين **﴿و اعبد ربّك حتّى يأتيك اليقين﴾**(٣٩).

ويعلن للموقنين الذين يصلون عن طريق الفكر والشعور أو الشكر والذكر في الأسحار إلى مقام اليقين إنهّم لا يزالون في الطريق وإنّ أهدافاً سامية لا تزال في انتظارهم تحملهم من علم اليقين إلى عين اليقين **﴿كلاّ لو تعلمون علم اليقين لترونَّ الجحيم ثمّ لترونَّها عين اليقين﴾**(٤٠). واليقين عامل مؤثّر يوصل العبد الصالح السالك من مقام المحبّ الى درجة محبوب الحق السامية، حيث لايذوق فيها لذّة المحبّة فقط، بل إنّه يختال ويفتخر لكونه محبوباً، وإذا كنّا قد استمتعنا حتى الآن بلذّة مناجات الحق فإنّنا الآن نغرق في النشاط من شوق مناجاتنا للّه سبحانه: **﴿قُل إن كنتم تحبّون الله فاتبعوني يحببكم الله﴾**(٤١)، «**ما برح للّه عزت آلائه في البرهة بعد البرهة وفي أزمان الفترات، عباد ناجاهم في فكرهم وكلّمهم في ذات عقولهم**»(٤٢)...

فهؤلاء ينعمون في كل لحظة بالعبادة بفائدة جديدة من اليقين، ويقومون باليقين الأفضل بعبادة أفضل، كما أن أولي الألباب ينالون بالفكر فائدة جديدة من اليقين النظري، ويحصلون بذلك اليقين على مفتاح حل المصاعب النظرية.

ولمّا كان نظام الخلق يقوم على أساس العلّة والمعلول، ويدير سلسلة العلل كلها الله سبحانه الذي هو مسبب جميع الأسباب، وهي مجاري الفيض فقط، فإنّ طلب أي فيض يكون بحفظ مبادئها مجاريها، والوسائل لاتخالف حكمة الله أبداً ولا تغيرها، وإنّما تتّفق معها: «**يامَن لا تغيّر حكمته الوسائل**»(٤٣). ولذلك فإ نّ العلم يحصل تارة من الفكر والشعور وتارة من الذكر والدعاء، وطلب زيادته يقترن بطلب التوفيق في الفكر والحدس والسعادة في العبادة والتوجّه إلى الله. وبناء على هذا فإنّ **﴿ربّ زدني علماً﴾** يقترن مع طلب التوفيق في السعي والتفكر العقلي أو التهجد القلبي، إذ إن جمعهما ليس ممكنا فقط بل هو المراد والمطلوب.

وبما أنّ هذه المقالة تقوم على أساس الاختصار، وقد وردت بعض المباحث العبادية في هذا الفصل، لذلك لن يعقد فصل مستقل لبيان رسالة القرآن في العبادة، كما أنّه لم يعقد فصل مستقل لبيان رسالة القرآن في التربية.

الفصل الثالث :
رسالة القرآن في المعاشرة

لقد وردت الخطابات القرآنية بصيغة الجمع، فدعت الناس إلى الاجتماع والألفة، واعتبرت المجتمع مسؤولاً، والقرآن يعلم الآداب والسنن في العلاقات الاجتماعية بشكل يتناسب مع كرامة الانسان ويتّفق مع أحسن تقويم البشر، ولذلك يذم جميع صفات التفرقة المؤدّية إلى الألم ويثني علي جميع الخصال الداعية إلى المحبّة والتواصل، وهو يقبل تأثير الاختلافات العرقية والمحلية والزمانية والاقليمية وأمثالها في حدود تعرف كل منها على الأخرى فقط، وليس الفخر والكبر، ويرى انّ المباهاة الوحيدة تكون في نبذ التفاخر، وترك سوء المباهاة والابتعاد عن تعدّي حبّ الجاه، ونفض غبار الكبرياء، ودخان حبّ الرئاسة وسائر المعاصي.

ولا يعتبر الأدب الاجتماعي ومقابلة الآخرين ضرورياً في حدود الأُخوّة الاسلامية فقط، ولا يحيي روح المساواة بين المسلمين بقوله **﴿إنّما المؤمنون إخوة﴾**(٤٤) فحسب بل إنّه يعتبر بناء على نطاق دعوته العالمية الشاملة أنّ أساس الصفاء والاخلاص الانساني بين جميع المجتمعات البشرية مفيد أيضاً وطالما لا يوجد شخص أو جماعة يكنّون في أنفسهم القيام بفتنة مدمّرة، ويطوف في خيالهم ارتكاب الظلم والجور وجب معاملتهم جميعاً بميزان القسط والعدل والاحترام المتبادل **﴿لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدّين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبّروهم وتقسطوا إليهم إنّ الله يحبّ المُقسِطين﴾**(٤٥)، **﴿إنّما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم في الدّين وأخرجوكم من دياركم و ظاهروا على اخراجكم أن تولّوهم، ومن يتولّهم فأولئك هم الظالمون﴾**(٤٦).

Downloaded from aijh.modares.ac.ir at 10:32 IRDT on Monday August 31st 2020

وبما أنّ الانسان خلق بـ ﴿أحسن تقويم﴾[٤٧] فمن الجدير أن يربّي مثل هذا الموجود بالتي هي أحسن، لذلك قال جلّ وعلا ﴿قل لعبادي يقولوا التي هي أحسن إن الشيطان ينزغ بينهم﴾[٤٨] و ﴿قولوا للنّاس حُسناً﴾[٤٩]، وليس مراده من «يقولوا» و «قولوا» المقابلة اللفظية بل مطلق السلوك والمعاشرة.

وبالرغم من ضرورة ردّ كل هجوم على الحدود الاسلامية والقضاء على كل نزاع، واخماد كل حملة يقوم بها العدو الأجنبي غير انّ الاختلافات إن وقعت في داخل الحدود الاسلامية، وجب عدم ضرب الأخ المسلم الذي يبدو عدواً في الظاهر والقضاء عليه قضاء مبرماً، وإنّما ينبغي ازالة العداوة معه وليس العدو، فليس ازالة العدو صعباً. بل إنّ القضاء على العداوة واعادة الصداقة والوئام فن لايبلغه سوى الاخوة الصالحين ﴿ولا تستوي الحسنة ولا السيّئة ادفع بالتي هي أحسن فإذا الّذي بينك وبينه عداوة كأنّه وليّ حميم﴾[٥٠].

وبناءً على هذا فانّ المنطقة الاسلامية كمحيط العائلة، تدور حول محور العطف والمحبة وتقوم على أساس ﴿وعاشروهنّ بالمعروف﴾[٥١] والاتصال والانفصال والانفصام والوئام يكونان بالمعروف والاحسان ﴿فإمساك بمعروفٍ أو تسريح باحسان﴾[٥٢] و يقوم احترام المسنّين على قوله تعالى ﴿وإمّا يبلغنّ عندك الكبر أحدهما فلا تقل لهما أُفٍّ ولا تنهرهما وقُل لهما قولاً كريماً﴾[٥٣]، ذلك إنّ العطف على المسنّين يدخل في نطاق حياة الصغار وهم يحتاجون إلى المحبّة والحنان.

ويقوم أدب العاشرة الحقوقية في المجتمع الانساني في القرآن على أساس القسط والعدل. ولذلك فإنّه ينهى عن تحمل الظلم مع امره بالعدل. وهو من خلال النهي عن الظلم ينهى عن قبول الظلم، ويستنبط هذا من متون آيات القُرآن الكريم ذلك أنّ بعض الآيات تعتبر رسالة جميع الرسل، القيام بالقسط والعدل ﴿لقد أرسلنا رُسلنا بالبيّنات وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم النّاس بالقسط﴾[٥٤]، وتؤكّد بعض الآيات انّه لا يتيسر القيام بالعدل دون تجهيز كامل واستعداد نهائي، لذلك لا يكفي ان يقوم الانسان بل ينبغي أن يكون قوّاماً: ﴿يا أيها الّذين آمنوا كونوا قوّامين للّه شهداء بالقسط﴾[٥٥]، ﴿يا أيها الّذين آمنوا كونوا قوّامين بالقسط شهداء للّه﴾[٥٦]. وهناك عدد من الآيات تنهى عن الظلم مقابل الأمر بالعدل، ولا تفرّق بين التسلّط والخضوع. وتعتبر الخضوع كالظلم مذموماً، وتنهى عن كليهما ﴿لاتَظلِمون ولا تُظلمون﴾[٥٧].

ويعتبر القرآن الكريم، الاختلاف في المواهب تمهيداً للاختبار ووسيلة لتوزيع الأعمال الاجتماعية توزيعاً عادلاً وتسخير أفراد المجتمع بعضهم لبعض ويمنع كل نوع من أنواع الإهانة وعدم الاحترام والسخرية ﴿وهو الذي جعلكم خلائف الأرض ورفعَ بعضكم فوق بعض درجات ليبلوكم فيما آتاكم إنّ ربّك سريع العقاب وإنّه لغفور رحيم﴾[٥٨]، ﴿أهُم يقسِمون رحمة ربّك، نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات ليتّخذ بعضهم بعضاً سخرياً، ورحمة ربّك خير ممّا يجمعون﴾[٥٩] فهاتان الآيتان تبيّنان أنّ المواهب الالهية أيّاً كانت هي ابتلاء للخلق وليست تكريماً للحاصلين عليها واهانة لمن فقدوها والهدف منها تقسيم الواجبات الاجتماعية. كما إنّ الآية ﴿يا أيُّها الذين آمنوا لا يسخر قومٌ من قوم عسى أن يكونوا خيراً منهم ولا نساءٌ من نساءٍ عسى أن يكنّ خيراً منهنّ﴾[٦٠] نهت عن أي نوع من الاستصغار والتكبر والتفاخر، ودعت إلى ضرورة حفظ الاحترام المتبادل لتمهد سبيل المعاشرة الاجتماعية في ظل الكرامة لظهور المدينة الفاضلة.

وتتناسب معاشرة كل مواطن في المدينة الفاضلة مع مسئوليته لذلك فإنّ واجب المسؤولين الكبار في المجتمع أكبر من الآخرين في هذا الشأن ولهذا أُمر موسى كليم الله وهارون، عليهما السلام، أن يبدأ بالقول اللين لنشر الدين ﴿قولا له قولاً ليناً لعلّه يتذكّر أو يخشى﴾[٦١] وإن كان فرعون قد غشيه اليم أخيراً لسوء عمله وغشي من كان معه من الأنصار المتعصبين أيضاً: ﴿فغشيهم من اليم ماغشيهم﴾[٦٢] كما أُمر الرسول بأن يعامل الناس بالرحمة واللين والتواضع: ﴿فبما رحمة من الله لنت لَهم ولو كنت فظّاً غليظ القلب لا نفضّوا من حولك﴾[٦٣]،

Downloaded from aijh.modares.ac.ir at 10:32 IRDT on Monday August 31st 2020

ومن هذا أيضاً، استشارة الآخرين واحترام آرائهم لحفظ الوحدة في المجتمع ودعوة القوى الفعالة، والتنسيق بين أصحاب الرأي والوصول إلى القرار النهائي الصحيح. وهو ما أمر به الرسول الأكرم(ص) أيضاً. حيث يقوم سلوك النّبيّ كما أمره الله سبحانه على خفض الجناح والتواضع للمؤمنين: **﴿واخفض جناحك لمن اتّبعكَ من المؤمنين﴾**(٦٤) و إن كان موقف الرسول القاطع من الطغاة اعلان براءة هذا الزعيم الالهي من العاصين سنة الاسلام الباقية: **﴿فإن عصوك فقل إنّي بريء ممّا تفعلون﴾**(٦٥).

ويأتي خفض الجناح في القرآن الكريم أحياناً بمعنى إظهار الاحترام والخضوع كما يفعل الإبن، أمام أبويه المسنّين **﴿وأخفض لهما جناح الذّلّ من الرّحمة﴾** (٦٦) ويأتي أحياناً أُخرى مظهراً للرأفة والرحمة والعطف كالذي أمر به الرسول(ص).

إنّ من رسالات القرآن الأساسيّة في تحسين أدب المعاشرة هو وضع أُسس المجتمع المثالي والتمدّن الأسمى واصدار أمر لمثل هذا المجتمع بحسن الظّنّ. ومع إنّ الواجب الأوّل في المجتمع السيّء هو سوء الظّنّ إلاّ إنّ الأمر الأول في المجتمع الصالح هو حسن الظّنّ بالآخرين **﴿اجتنبوا كثيراً من الظّنّ إنّ بعض الظّنّ إثم﴾**(٦٧).

الفصل الرابع :
رسالة القرآن في المعيشة

يعتبر القرآن الكريم الروح من عالم الغيب، والبدل من عالم الشهادة، والاصالة للغيب الذي هو واسطة فيض الله سبحانه ينال منه مستفيضوا عالم الشهادة، وعلى هذا فإنّ صفات الروح والتي أهمّها الإعتقاد هي الأصل، وتوفير حاجات البدن المقيّد بالمسائل المالية والمادية أي الإقتصاد هو الفرع ورغم إنّ التفكير الإقتصادي ووضع الخطط والبرامج الدقيقة لمسائلة المعقّدة تعتبر من أهم العلوم، غير أنّ كلّ علم من تلك الناحية يحكي عن المعلوم، حيث يأخذ قيمته من المعلوم لذلك فإنّ علم معرفة الله وعلم معرفة الرسول وعلم معرفة الإمام وعلم معرفة المعاد وأمثالها من أصول الإسلام العامّة لأنّها تحكي عن عالم الغيب وحدود الروح، وهي تكتسب أعلىٰ قيمة لها من تلك المعلومات القيّمة.

والمُراد من هذه القيمة هو قوّة الدرجة الوجودية التي تعتبر من الأمور الحقيقة وليس القيمة الأعتبارية. إلى أن تنزل من حدود الحقيقة وتدخل في العناوين الإعتبارية، وتتغير بأعتبار مختلف المعتبرين، ورغم أنّ الاقتصاد في القرآن هو فرع وليس أصلاً غير أنّ الإسلام كان ولا يزال ينظر بإهتمام إلى سائر المسائل الفرعية.

ولا يعتبر المال وما ينفصل عن حقيقة روح الانسان، كمالاً له. بل وسيلة لتوفير الحاجات الطبيعية، ولما كانت تهيئة وسائله لاتخلو من النصب فقد أُدخر في باطن طبيعة الانسان وليس في فطرته مقدار معقول من الدعوة الباطنية ولذّة التملّك ليستطيع بها وبحجّتها أن يتحمّل عذاب الحصول على المال.

وكما أنّ القرآن الكريم يرى الكواكب زينة السماء وليست زينة الانسان **﴿إنّا زيّنّا السّماء الدّنيا بزينةٍ الكواكب﴾**(٦٨) فإنّه يعتبر الحدائق والسهول زينة للأرض وليست زينة للبشر **﴿إنّا جعلنا ما على الأرض زينة لها لنبلوهم أيّهم أحسن عملاً و إنّا جاعلون ما عليها صعيداً جُرُزا﴾**(٦٩)، ولكنّه يعتبر الإيمان الذي هو من نسخ الروح زينة روح الانسان: **﴿حبّب إليكم الإيمان زيّنه في قلوبكم وكرّه إليكم الكفر والفسوق والعصيان﴾**(٧٠).

إنّ حبّ المال أكثر من كونه أداة وجمعه زائداً عن رفع الحاجة مذموم، وإن كانت تنميته لتوفير وسائل الرفاه للآخرين وتخفيف عبء الفقر الشديد والتضخم المالي في المجتمع، كلّما ازدادت كان أفضل، وقد أعتبر القرآن الكريم حبّ المال حبّاً جمّاً، غماً للرّوح، وذمّه **﴿تحبّون المالَ حبّاً جمّاً﴾**(٧١)، وإذا كان قد وصفه بالخير كقوله: **﴿إنّه لحبّ الخير لشديد﴾**(٧٢)، فعلاوة على أنّ كلمة خير أوّلاً هي صفة للمال وليست صفة للحبّ وثانياً لايفهم من آية مدح حبّ المال إنّه سمّاه خيراً بزعم أنّه محبّ للمال. فسياق الآية في ذم الانسان الكفور بربّه سبحانه **﴿إنّ الإنسان لربّه لكنود و إنّه لحبّ الخير لشديد و إنّه على ذلك لشهيد﴾**(٧٣)، وكذلك فإنّ آية الوصيّة التي ذكرت المال بالخير إنّما كان لضرورته في الحياة الدنيا و إنّها في هذه الحالة خير ولا

Downloaded from aijh.modares.ac.ir at 10:32 IRDT on Monday August 31st 2020

تعلّق بأحد.

ولا يعتبر امتلاك الثروة في الاقتصاد الاسلامي كمالاً. يكون مالكه كاملاً وفاقده ناقصاً، وقد تحدّث الإمام عليّ ابن أبي طالب(ع) في شرحه لمسألة الثروة، عن حياة بعض الأنبياء البسيطة وحاجتهم كالرسول(ص) وموسى(ع) وداود(ع) وعيسى المسيح(ع) ثمّ يقول: «**فلينظر ناظر بعقله، أكرم الله محمّداً بذلك أم أهانه فإن قال أهانه، فقد كذب والله العظيم بالإفك العظيم وإن قال أكرمه فليعلم إنّ الله قد أهان غيره حيث بسط الدنيا له وزواها عن أقرب النّاس إليه**»(٧٤).

وعلى هذا فالمال زينة الدنيا وليس زينة الإنسان، وحبّه بالمقدار المعقول في حدّ المحبّة وسيلة للإصلاح وليس أكثر منها ولا أن يكون هدفاً. وكنز المال والذهب مذموم، والشوق الى القناطير المقنطرة يصدّ عن سبيل الله ويسدّ طريق سموّ الروح. ومجموع مال الدنيا بقدر حاجة مجموع الناس وكنزه في مكان واحتكاره عند جماعة أو شخص خاص يخالف النظام المالي في الاسلام. والتأسّي بالأنبياء يكون في الحياة البسيطة والكمال يكمن في الهجرة من التكاثر إلى الكوثر. حيث الخير النفسي وليس النسبي والخير الواقعي لا الإعتباري والمزعوم و...

إنّ انتصار المقاتلين في صدر الإسلام ومن ورائهم يعود لأسباب أحدها القناعة في المعيشة وأفضل مثال لها أصحاب الصُفة من المهاجرين وإيثار الأنصار والتحليل النهائي للحرب بين المسلمين والكفار يتجلى بانتصار الكوثر على التكاثر والإيثار على الإستئثار وغلبة الزهد على كنز الذهب وتسلّط الحياة البسيطة على الحياة المعقّدة والخلاصة اعتلاء كلمة الله على الكلمات الأُخرى.

إنّ الذي يرسم الخطوط العامة للاقتصاد الاسلامي هو القسط والعدل اللّذان يرسمان كل الخطوط الدينية، لذلك فهو. ينقص من افراط المبتلين بكثرة المال كيلا يقعوا في فخّ الكظة والبطنة والإسراف والإتراف والظلم والشّحّ والولع والحرص، كما يقل من تفريط المبتلين ببلاء الفقر المالي، كي لايصابوا بالسغب والشدّة والجوع والعري والمسكنة والتشرد، وقد أخذ عهد بإنزال القانون العام ﴿**كي لايكون دُولةً بين اغنياء منكم**﴾(٧٥). من الجميع ولا سيّما من العلماء الحقيقيين وعلماء الدين المؤمنين والمفسّرين الملتزمين والفقهاء الزاهدين، أن يقفوا في وجه عدم المساواة بين الأغنياء والفقراء وألاّ يسكتوا مقابل عدم إيمان المتكاثرين وأمام المحرومين وأن ينهضوا لقطع دابر الظلم للتتوزّع الأموال على جميع الناس ولا تبقى بيد أشخاص خاصين حقيقيين أو حقوقيين: «**لولا حضور الحاضر وقيام الحجّة بوجود الناصر، وما أخذ الله على العلماء ألاّ يغاروا على كظة الظالم ولا سغب مظلوم لألقيت حابلها على غاربها ولأسقيت آخرها بكأس أوّلها...**»(٧٦).

ويبدوا من هذا الكلام أن الجميع مسؤولون عن تنظيم وتوفير العدل الاقتصادي سواء من كان قادراً على القيادة والولاية، ومن كان غير قادر على الزعامة، أو من تسقط عنه ولاية المسلمين بقيام أحد بالكفاية.

إنّ وجوده في الميدان ودعمه للزعيم وتولي ولي المسلمين واجب عليه، وإذا افترض أن يكون هذا الشرط بالنسبة لولي المسلمين شرط للوجوب وليس واجباً ومقدّمة حصولية وليست تحصيلية فإنّه بالنسبة إلى الحاضرين والمناصرين شرط واجب وليس وجوباً وأمر تحصيلي وليس حصولياً.

ويمكن أن يستنبط أساس هذا الموضوع هو أن الغنىٰ والفقر كلاهما امتحان إلهي وليس أي منهما في ذاته سبباً لكرامة الانسان أو اهانته بالرجوع إلى بعض الآيات كسورة الفجر: ﴿**فأمّا الإنسان إذا ما ابتلاه ربه فأكرمه ونعّمه فيقول ربّي اكرمن، وامّا اذا ما ابتلاه فقدر عليه رزقه فيقول ربّي اهانن، كلاّ...**﴾(٧٧)، وإن كان قد ورد في الآيات الأُخرى من هذه السورة أنّ الظّنّ الباطل المبتلى الغني يدفع الإنسان إلى أن يحبّ المال حبّاً جمّاً و يمنعه من اطعام المساكين لا راغباً ولا مرغِّبا.

إنّ ماورد عن أهمية المال كان له مظهر وصفي لا أمري وكذلك كل ماقيل عن خطر الفقر المالي له مظهر وصفي لافرضي. فالرسول(ص) قال عن خطر الفقر الاقتصادي مثلاً: «**بارك لنا في الخير ولا تفرّق بيننا وبينه فلولا الخير ما صلّينا ولا صمنا ولا أدّينا فرائض ربّنا**»(٧٨)، وهذا يشمل مظهر التأثير الطبيعي للقضية فقط وليس ناحية فرضه، وهو دليل على مدى

Downloaded from aijh.modares.ac.ir at 10:32 IRDT on Monday August 31st 2020

تحمّل المتوسّطين من الناس، وإلاّ لما قام أحد من الرجال المؤمنين في صدر الاسلام أو في عصرنا بنصرة الاسلام الخالص مع تحمّل كل شدائد الفقر، ولما طرد الأعداء الغاصبين من حدود وطننا الاسلامي ولما حفظ كيان القرآن والعترة بمعونة الله من شرّ الأجانب.

الفصل الخامس:
رسالة القرآن في السيّاسة

إنّ كل وصف كمالي أورده الله تعالى للقرآن الكريم بمنزلة شرح لرسالته، فوصل الرسول في حكم بيان حدود رسالته، وكيفيّة ابلاغ الرسالة وثمرة العمل بدعوته، فإذا وصف القرآن مثلاً بالكريم والمجيد والهادي فمعنى ذلك إن رسالته الكرامة والمجد والقيادة وبناءً على هذا يمكن القول بالاستفادة من وصف القرآن بالنور أنّ رسالته الإنارة وأنّ النظر في هذا النور والعمل به ينير المجتمع الانساني ﴿**يا أيُّها النّاس قد جاءكم برهان من ربّكم وأنزلنا إليكم نوراً مبيناً**﴾[٧٩]. ولمّا كانت الإنارة من الصفات العامة للرسالات السماوية، ولا فرق في هذا بين الرسل سوى في الشّدة والضعف، فقد ورد عن التوراة الأصلية وغير المحرّفة التي نزلت على موسى كليم الله(ع): ﴿**قُل من أنزل الكتاب الذي جاء به موسى نوراً وهدى للنّاس**﴾[٨٠]، وبالإعتماد على وصف القرآن بالنور فإنّ الهدف الاسمى لهذا الكتاب السماوي هو إنارة الناس، وقد ورد هذا الموضوع بصراحة في سورة ابراهيم(ع): ﴿**الّر كتاب أنزلناه اليك لتخرج النّاس من الظّلمات إلى النّور بإذن ربّهم الى صراط العزيز الحميد**﴾[٨١]، أي إن كان الله ولي المؤمنين: ﴿**الله وليّ الذين آمنوا**﴾ و ثمرة هذه الولاية إخراجهم من كل نوع من أنواع الظلمات أكان ذلك بشكل دفع عن الأطهار والمعصومين أم رفع عن المذنبين من أهل الإيمان ﴿**يخرجه من الظلمات إلى النّور**﴾[٨٢]، فإنّ أفضل وسيلة لإرشاد المؤمنين إلى النّور هو إنزال القرآن، وأكمل مظهر لهذا الإسم الشريف هو وجود الإنسان الكامل المبارك، أي النّبيّ الأكرم(ص). لذلك فإنّ الإخراج من الظلمات إلى النّور الذي هو من صفات الله العقليّة قد نسب إلى الرسول العزيز. ولمّا كان كلّ فعل أو وصف ناشئاً من جوهر ذات الفاعل والموصوف وكانت سائر الرسالات القرآنية قد وردت في اطار الفعل أو الصفة، فإن هذا الوصف الممتاز يتحدث عن جوهر ذات الانسان، أي إن هدف القرآن الأسمى هو هداية ذات أفراد المجتمع إلى النّور، وإذا اهتدى فرد أو مجتمع في جوهر ذاته إلى النّور فإنّه لابدّ أن يتمتّع ـ في الوصف ـ بالفضائل النفسانية، ويصبح في الفعل ذا سلوك وأعمال محمودة وممدوحة، ذلك أنّ صلاح الصفة أو الفعل لا يستلزم صلاح جوهر الذات ولكن صلاح جوهر الذات لابدّ أن يتبعه صلاح الوصف أو الفعل، لذلك فإنّ كل من يكون من الصالحين، فإنّه يكون مصداق من (عملوا صالحاً) ولكن عكسه ليس ضرورياً وكل من يتمتّع في جوهر ذاته من نورانيّة القرآن فإنّ سيرته في حياته ستكون واضحة: ﴿**يا أيُّها الذين آمنوا أتقوا الله وآمنوا برسوله يؤتكم كفلين من رحمته ويجعل لكم نوراً تمشون به...**﴾[٨٣]. فتأثير التقوى والايمان برسول الله يساعد القلب على الاستفاضة من النور الالهي ليستطيع الانسان أن يتخلّص بدون خوف من الضياع من ظلمات الوهم المغالط في العلوم النظرية وألاّ ينساق في المشاهد الحضورية في ظلمات الهواجس والوساوس، فيتوهم الصور النفسانية والشيطانية صوراً ملائكية ورحمانية، ولا يصبح أسير شباك الهوى وقيود الهوس في الصفات والأفعال.

والقرآن الكريم الذي هو نور مصون في بيان علومه من كل آفات الابهام والتلخيص والتعمية، وهو حينما يتحدث عن طريقة انارته، وكيفية هداية المجتمع إلى النور يتطرق إلى أهم مسألة في المجتمع البشري إلا وهي حكومة العدل وسياسة القسط ويرى ان السبيل الوحيد لهداية الناس إلى النور يكون في ظل سياسة الرسل الصحيحة، ويعتبر المجتمع البشري مظلما بدون حكومة الوحي وسياسة الانبياء والسياسيين الالهيين، ولذلك فإنّه بعد أن عرف أنّ الهدف الاساسي لرسالة القرآن هو هداية الناس إلى النور، وأمر الرسول بتنفيذ هذا البرنامج الالهي بيّن طريقة تحقيق هذا المشروع بقوله: ﴿**ولقد أرسلنا موسى بآياتنا أ ن اخرج قومك من الظلمات إلى النور**

Downloaded from aijh.modares.ac.ir at 10:32 IRDT on Monday August 31st 2020

﴿ذكّرهم بأيّام الله إنّ في ذلك لآيات لكلّ صبّار شكور﴾(٨٤).

إنّ أهم أعمال موسى(ع) في اخراج بني اسرائيل إلى النّور هو تأسيس حكومة الحق ومحاربة سياسة ظلم آل فرعون والثورة على الشرك والعمل على رفع راية التوحيد والجهاد ضدّ الهيئة الحاكمة آنذاك والسعي لتأسيس النظام الإلهي، ولا يتيسّر وجود سياسة العدل للتنفّس الحرّ دون قضاء السياسة المنفتح، ولا يمكن تهذيب النفس وتزكية الروح دون حكومة العدل؛ ذلك أنّ أهم أعمال الطواغيت زج المجتمع البشري في الظلمات هو تأسيس الحكومة الفاسدة وتعطيل الحدود الإلهية، وتنفيذ القوانين البشرية، ونشر الإلحاد ومخالفة التوحيد والدعوة إلى جهنّم. وممّا لم يرد عن أيام الله وتتّفق مع يوم ظهور المهدي أرواحنا فداه ويوم القيامة وأمثالها فهو من باب المثال وليس البيان ليفيد الحصر. وبناء على هذا فإنّ يوم انتصار المعجزة على السحر، وظفر الامداد الغيبي على جيش آل فرعون وانشقاق البحر ونجاة الموسويين وغرق الفراعنة وهلاكهم و... هي من أيّام الله.

ولمّا كانت الحرب مع ظلّام العصر تتطلب الثبات، فقد ورد الحديث عن الصبّار والشّكور وليس الصابر والشاكر، كما سبق وشرحنا الفرق بين القائم بالقسط وبين القوّام به.

ودراسة أصل الدين والتحقيق حول دليل ضرورته يبين بوضوح مسألة السياسة الدينية، ذلك أنّ برهان النّبوّة العامة وحتميتها من أجل المجتمع يقترن مع حدوث تدوين القانون العام اقامة الحدود والتعزير والقصاص والحرب والسلام، وكل هذا من شؤون السياسة الواضحة.

وإنّ التفكير بانفصام الدين عن السياسة يمنع من إقامة البرهان العقلي على ضرورة الوحي والنّبوّة، اذ لا يمكن اعتبار المجتمع البشري كالملائكة المعصومين من الاعتداء والظلم، ولا يمكن تحمل اعتداء الظالم، ولا يجوز الوقوف في وجه المعتدين بوضع القوانين البشرية وتنفيذها ولا يمكن ايداع اقامة الحدود الإلهية بيد أي شخص بدون ولاية وإمامة؛ وإلاّ تعمّ الفوضى من جهة والنكول الضمني من جهة أخرى عن برهان ضرورة الوحي والنّبوّة.

وإذا تعصّب أحدهم وتظاهر بالتظلّم واعتبر الدين منفصلاً عن السياسة، وقال إنّ واجبي هو حفظ الدين، ولا دخل لي بشؤون السياسة، وأعلن حياده، فإنّ السياسي القهّار لن يتركه، ولن يفصل منطقة سياسته عن حدود الدين، ولا يعتبر الدين ظاهرة ما وراء الطبيعة وانما سيجذبه إليه ليستغله لفائدته وسيغرق المتديّن الجاهل بالدين والمتعصب، في ظلمات مكره الخبيث، وسيفهمه بأنّ من الواجب عليه أن يستنبط من المصادر الدينية معانٍ تتفق والخطوط العامة للسياسة المشؤومة، وينبغي على كل رجل دين أن يعمل بشكل يوافق فيه على القوانين الظالمة لهذا السياسي غير المتديّن، وإن يكون مفيداً في وصول السياسيين الظالمين الى أهدافهم الفاسدة.

إنّ الحديث عن الظن بانفصال الدين عن السياسة واعلان انفصام كل منهما عن الآخر ظلماً، يشبه توهّم انفصال التخيّل وافتراق حدود العقل عن الجهل في الجهاد الأكبر، أي إذا أعلن العقل النظري نبذ النزاع مع الوهم النظري، وأعلن العقل العملي ترك الصراع مع الوهم العملي، وعقدت الفطرة الانسانية اتفاقية مع طبيعة حبّ الشهوة أو طبيعة الافتراس فيها، تنص على عدم الاعتداء، وانشغلت بأعمالها هادئة، فإن الوهم النظري لن يكف عن الاعتداء على العقل النظري ولا ينصرف الوهم العملي عن التعدّي على حدود العقل العملي بل إنّ الغصب القهّار والشهوة المشعوذة يستمرّان في أذى حرية العقل، حتى يأسر الهوس الأسود العقل الصافي فلا يستطيع العقل أن يفعل شيئاً وهو ما تحدث عنه أ ميرالمؤمنين علي(ع) بقوله: «**كم من عقل أسير تحت هوى أ مير**»(٨٥)، و **شهد على ذلك العقل إذا خرج من أشر الهوى**»(٨٦).

ويمكن مشاهدة هجوم سياسة الظلم على دين المتعصبين القائلين بانفصام الدين عن السياسة في مصير الكنيسة المشؤوم، كيف غيرت التفاسير الدينية وفقاً لمطالب السياسيين المتلاعبين، وأصبحت خاضعة لهم شيئاً فشيئاً، ووافقت ومن جانب واحد على أساس الانفصام وحرفت الوحي السماوي مقابل وهم السائسين وأخيراً أصبحت عاملة

Page 21

Downloaded from aijh.modares.ac.ir at 10:32 IRDT on Monday August 31st 2020

على اقامة الحكم العلماني آنذاك.

ولم يكن عالم الاسلام بعيداً عن هذا الضرر أيضاً. فقد استنبط المفكرون بالانفصال نفس هذا المعنى من كلمة «أُولي الأمر» في قوله تعالى ﴿**أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأُولي الأمر منكم**﴾[٨٧]، فوافقوا على سياسة القوة عندهم، وأصبحت إقامة الحدود الإلهية أخيراً تابعة لهوس ألاعيب السياسيين، وكانوا في الفرص المناسبة السياسية أيضاً يصدرون فتوىً توفر الحاجة الكاذبة للهيئة الحاكمة. ومن هنا يدرك معنى أسر الدين في هوس سياسيي المكر والتي قال عنها الامام علي(ع) في رسالته إلى مالك الأشتر «**فإنّ هذا الدّين كان أسيراً في أيدي الأشرار، يعمل فيه بالهوى ويطلب به الدّنيا**»[٨٨]، أي إنّ الدين حرّ في حكومة عدل عليّ(ع) وأسير في حكومة جور غير عليّ(ع) لا أنّ الدين منفصل وحرّ وله حدود خاصة.

ولابدّ من ذكر نقطتين مفيدتين في إتمام مسألة السياسة الدينية الأُولى: إنّ القرآن يرى كمال الدين واتمام النعمة في تعيين امام الاسلام وولي المجتمع ﴿**اليوم أكملتُ لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام دينا**﴾[٨٩]. وفي ظلّ الولاية وإمامة المسلمين يتبدّل أمل أعداء الاسلام باليأس ﴿**اليوم يئس الّذين كفروا من دينكم فلا تخشوهم واخشونِ**﴾[٩٠]، والثانية: أنّ السياسة الإلهية تنتصر على جميع الأديان بظهور آخر ولي ومعصوم في الدين الاسلامي ﴿**ليظهره على الدّين كُلّه ولو كره المشركون**﴾[٩١]. وإن كان الدين الصحيح والسماوي واحداً ﴿**إنّ الدّين عندالله الإسلام**﴾، ولكن بما أنّ الدين يعني مجموع القرارات والقوانين، وهذه يضعها البشر أحياناً كما قال فرعون ﴿**إنّي أخاف أن يبدّل دينكم**﴾[٩٢]، و أحياناً أخرى يتدخّل البشر في هذا الموضوع الإلهي ويحرّفونه: ﴿**يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هذا من عندالله**﴾[٩٣]، وبالتالي لا يؤمنون بدين الاسلام الخالص وغير المحرَّف ﴿**ولا يدينون دين الحقّ**﴾[٩٤]، ولذلك تَمّ التعبير بكلمة «كلّه» التي تفيد التعدّد والكثرة.

ومن الواضح أن قتال المشركين لايكون بلا سياسة، وأنّ الدين كلّه للّه، ولا يتيسر القضاء على كل دين غير الهي بدون زعامة وإمامة السّاسة الإلهين ﴿**قاتلوهم حتّى لاتكون فتنة ويكون الدّين كلّه للّه**﴾[٩٥].

الفصل السادس:
رسالة القرآن في الثقافة

الدين الإسلامي مجموعة من الإدّعاء والدعوة، أي ادّعاء نبوّة الرسول الأكرم(ص) والدعوة إلى قبول أصوله وفروعه، و إن كان لبعض الأحكام الفرعية ظاهرة تعبّدية وهي خارجة عن نطاق الحسّ والعقل المتعا رف، وتظهر مصالحها بعد مرور الزمن التجربة خلال مدّة طويلة، لذلك قال سبحانه ﴿**يعلّمكم ما لَم تكونوا تعلمون**﴾[٩٦].

غير أنّ خطوطها العامة تقبل إقامة البرهان، أي أنّ أُصول الدين تقبل البرهان دائماً، والعقل مستقل وقادر على ادراك أُسسها الأصلية، و إن كانت الشواهد الشرعية معيناً مناسباً ومعاوناً مساعداً لها، وكذلك المباحث العامة للأخلاق والحقوق والفقه الاسلامي التي الفطرة وعلم الإنسان وعلم المجتمع من خصوصيتها، بدورها تصلح للاستدال لا في حدّ الأصول الأولية.

إذا أُقيم مذهب على البرهان نجا من هجمات نقد الناقدين المتوهمين، واذا قبلت كل الأمور المذكورة بناء على اساس السنة القدمية لتقليد المقلدين اللاحقين للمقلد السابق وكان قدم الزمان وحده مسند حجيتها وقطعيتها، وحل التصديق الباطني محل البرهان العقلي، واستبدلت الاذن السماع من المبلغ الخارجي بدل صوت الاستدلال وتولى البصر مسؤولية البصيرة، وأصبح شعار «حسبنا السّمع والبصر» مسبّباً لعزل القلب وحبس الفؤاد، فإنّه سيكون عرضة دائماً للناقدين الممحّصين. وطالما انّ قدرة الدفاع لم تتوفّر، فإنّه إمّا أن يبتلى بخطر الارتداد أو بتعصب التفكير ويتشبث بحربة الطرد والطعن واللعن حيث لا يجوز ذلك الافراط، ولا هذا التفريط، لأنّهما كلاهما بعيدان عن صراط مستوى العلم

Downloaded from aijh.modares.ac.ir at 10:32 IRDT on Monday August 31st 2020

والعقل.

ومن هنا يمكن القول إن التفكير الفج بفصل الدين عن العلم كالتعصّب لإنفصال الدين عن السياسة، يحمل الكثير من المفاسد، والقول بأنّ العلم والدين وان لم يخالف كل منهما الآخر لكنّهما مختلفان، فإن كان هذا بمعنى أنّ الخطوط العامة للدين لاتقبل التعليل العقلي بل هي أمر وجداني وباطني لايصلح للاستدلال، فإنّه سيؤدي إلى كثير من المحاذير سنشير إلى بعضها فيما بعد.

ومن الضروري قبل ذلك أن نبيّن بشكل عام العلم بمعنى المعرفة والعلم بمعنى مجموعة من المسائل والأحكام. ـ فالعلم كماهو ـ يستدعي الاهتمام بأقسامه من قبيل الحسّي والعقلي والقلبي، والعلم كما هو ـ يستدعي بيان الحدود التي تفصل العلوم بعضها عن بعض، وكيفية اتصالها ومقدار ارتباطها ببعضها، ومقدار انفصال بعضها عن بعض، كي لايتوقع مكان انفصالها، وينتظر انفصال ما يتّصل منهما وهذا التوقّع (أي اتصالها عند انفصالها) ليس صحيحاً كما إنّ الإنتظار (الإنفكاك عند الإتصال) ليس ضرورياً باتصالها وارتباطها.

ورغم أنّ العلوم الدينية تشتمل على المسائل الحسّيّة والتجربية، وإنّ قسماً منها قابل للاحساس والتداول في العلم الحسّي، غير أنّ القسم الأعظم منها يقع بعيداً عن متناول هذا العلم وهو في حدود العلم العقلي. ومع أنّ أصلها كلّها هو الوحي والإلهام فإنّها علاوة على عبورها من قدرة العلم الحسي فإنّها تتجاوز حدود العلم العقلي أيضاً وتقع في مجال العلم العقلي الذي هو شهود الحقائق فقط. حديث إنّ ما يدعم العلم الحسي هو المبادئ العامة وغير التجربية التي يمكن تعليلها بالبرهان العقلي المحض. وإن وفّق عارف للوصول إلى العلم القلبي وشهود المعارف ولم يستطع أن يجسّد شهود القلب في قالب البرهان العقلي وإن يجعلها في معرض أفكار الآخرين أو يجعل قلوب الآخرين تقبلها بالاستفادة من الاعجاز، فإنّه ينجّي نفسه فقط. وليس من فرق في هذا بين العارف صاحب القلب والعابد صاحب السمع والزاهد صاحب النظر لا البصر، ولا شكّ في أنّ الراحة الباطنية لصاحب القلب أكثر من الآخرين ولكنّه لن يقدر أبداً على انقاذ الغريق.

ولهذا ليس القرآن الكريم وحده يعلّل الخطوط الاساسية للدين بل إن الرسول الأكرم(ص) مأمور ببيانها أيضاً، وهو يستدل على العلوم الاسلامية الأصلية في ضوء الاحتجاجات المختلفة وإن كان يستمد أحياناً من الاعجاز فيكون ذلك سبباً لإيمان الآخرين؛ ثمّ إنّ الإئمة المعصومين يستفيدون أيضاً من هاتين الطريقتين ليوفروا وسيلة علم السائلين والمتحيرين. وإذا أراد من هو ليس أهل كرامة أن يجعل الآخرين مؤمنين ولم يكن أهل برهان ويريد أن يعلّمهم، وأن يكون ايمانهم عن طريق العلم ويقول بانفصال الدين عن العلم نتيجة لعجزة في العلم العقلي وفقه شهوده القلبي ويرى إنّه غير قابل للاستدلال فإن زمام الأمر سيفلت من يده ويقع في يد العلم الحسي القهار، وعندئذ سيشهد تخريب العلم الحسّي المعتدي، ولن يملك وسيلة لردّ عدوانه، لذلك يلجأ إلى حربة الطّعن واللّعن الهشّة لحلّ عقدته النفسية وليس حلّ معضل الدين، وللتخلص من قلقه وليس لإزالة الشوك من طريق الإسلام، ويديرها حول رأسه فقط وهو ينشد أخاف أن يأخذوني أيضاً.

والآن للنظر إلى ذلك القائل بانفصال الدين عن العلم بمعنى أوسع ويعتقد بأنه غير قابل للتعليل. كيف وضع الاسلام بلا سلاح أمام عدوان العلم الحسّي المهاجم، وكيف أزال رسمه أولاً ثمّ محا اسمه وجعله نسياً منسياً.

إنّ العلم الحسّي يقوم على تصوّر أنّ الشيء الذي لا يمكن الاحساس به ولايحس به بالعين المجردّة أو غير المجرّدة ليس له سهم في الوجود العيني، ولا وجود له في الخارج وهو جزء من التصورات الذهنية التي يملك كل شخص بدوره سهماً منها، ويصفها بشكل خاصّ وينمي في باطنه هذه الفتوى المشؤومة بالاعتماد على مبادئه الخاصة وبالاتكاء على تقدّمه المادّى العظيم، ويقول بهذا الهجوم العقيم على الدين: بما أنّه لا يمكن الاحساس بمسائله، وليس لهذه المسائل صلاحية ابطال أو اثبات حسّي فليست علمية وبالنتيجة لن

Page 21

Downloaded from aijh.modares.ac.ir at 10:32 IRDT on Monday August 31st 2020

تكون عينية بل ذهنية حيث تتبع أذهانا مختلفة في شروط مختلفة وبدون ضابطة علمية، أي إنّ مسألة أُمّ الكتاب والكتاب المبين واللّوح المحفوظ ونفس الأمر وأمثالها لايمكن تصديقها والاعتقاد بتحقّقها خارج حدود الذهن وهي ظواهر ذهنية لأنّها غير قابلة للاثبات الحسّي أو الإبطال التجربي.

وحيث أنّ الاسلام محصور بالانتقال من العين إلى الذهن ومن الخارج إلى صرف اللّفظ والفم، ولم يكن له مكان خارج فضاء الفم والذهن، لذلك يبدو أمر آخر وهو أنّه تحمل الاسلام بلا سلاح، وأنّ الظواهر الذهنية تابعة للظواهر العينية وليس لها وحدها أي نوع من الاستقلال، ولذلك تختلف في الشروط الزمانية والمكانية والاقليمية المختلفة، ولما كان مبدء وجود الظواهر الذهنية هو الحوادث العينية المتحولة، لذلك فإن الظواهر الذهنية لاتكون ثابتة أبداً، وبما أنّ الدين خاطرة ذهنية محضة فلا ثبات له وهو في تغير دائم.

وعلى هذا فإنّ الظواهر الخارجية محدودة ومقيدة وليست مطلقة والمحدود لايكون سبباً لوجود المطلق، وبما أنّ الدين سبباً للظواهر المحدودة والمقيّدة فلا يمكن أن يصبح مطلقاً.

ولمّا كانت الظواهر العينية القائمة على أساس الجبر العلّي والعلمي تحصل الواحدة بعد الأخرى بالضرورة، وليس من اختيار، لأي ظاهرة خارجية، فالدين الذين ينشأ عن ظواهر جبرية، ويظهر مثلها نتيجة لجبر البيئة والشروط الاقليمية، وهو في ثبوته وسقوطه مجبر، تبعاً لقهر الطبيعة وليس تبعاً للانسان الحرّ، وإنّما يثبت في ذهنه بدون إرادته، ويرحل عنه دون طلبه.

وبناء على هذا فالدين أوّلاً أمر ذهني لا عيني، ثانياً: متغيّر وليس ثابتاً، وثالثاً: مقيّد وليس مطلقاً، رابعاً: جبري وليس اختيارياً، وتقع حوادث أُخرى إثر نزع سلاح الإسلام وهجوم العلم الحسّي العشوائي.

ولن يكون معنى للختم وبقاء الشريعة وتنزهها عن نسخ الزوال واستمرار الحلال الالهي على حاله وبقاء الحرام الديني على حاله، إنّ رسالة القرآن في الثقافة هي الفصل بين العلوم، وبيان معارفه الأصلية في محور العلم العقلي والشهود القلبي، وقطع يد العلم الحسي عن التطاول عليها، وتسليح الاسلام الحق والخالص بسلاح العقل و الشهود، وإلقاء ظلّه على العلم الحسّي، وتشجيع الجميع على تعلّمه والاستفادة منه في مجال الطبيعة ويرى أنّ النظام الفاعلي والنظام الغائي ضروريان مع معرفة النظام الداخلي، ويعتبر أسرار الطبيعة آيات الحق الآفاقية، والرموز النفسانية آيات الله الأنفسية، ويرى أن شهود ذات الله بمشاهدة ذات الحق نفسه كان قبل دراسة الآيات الآفاقية والأنفسية. ويعتبر الأفذاذ الموحّدين، شاهدين على وحدانية الله، كالملائكة.

وكما أشرنا في فصل رسالة القرآن في المعرفة، فإن القرآن الذي هو عصارة رسالة الانبياء لايسعى فقط إلى أن يُبرهن على معارف العقل النظري بايراد الحدود الوسطىٰ، ويوصل الناظرين إلى مقام درك المعاني العقلية، وإبلاغهم الاجتهاد بالاحتجاج... «**ويثيروا لهُم دفائن العقول**»[٩٧]، بل يسعى بالاضافة إلى تعليم مبادئ البرهان واظهار نتائجها القطعية إلى رفع ستار الوهم عن عين القلب، وايصال الانسان الصالح السالك إلى مقام شهود الغيب المنيع، واراءة باطن الأشياء ولا سيّما باطن الدنيا التي تعتبر العلاقة بها رأسها كل خطيئة، وكذلك الكشف عن خصائص النفس الأمّارة، التي هي أعدا عدو الانسان، واظهار خصومة الشيطان عدوّه المبين ليزدهر ما يتلقّاه من باطنه بالإلهام الإلهي: ﴿**و نفس وما سوّاها، فألهمها فجورها وتقواها**﴾[٩٨] ليصبح عالماً يجهل، بل شاهداً، وعلاوة على ذلك ينكشف سرّ تطبيق الكوثر على القرآن الكريم، ذلك أن أي عطش ثقافي سيزول بتحطيم جدار حصر العلم ولا سيّما التجربي والحسيّ منه، أي أنّه أولاً يروي أرض الأفكار الذابلة، وثانياً يغرس شجرة طوبى في تربة مناسبة مغمورة بالماء، وثالثاً: يقدم ثمرةً تلك الشجرة اليانعة إلى السالكين، كما يقول الإمام عليّ بن أبي طالب(ع): «**جعله الله رياً لعطش العلماء وربيعاً لقلوب الفقهاء وتحاً لطرق الصلحاء ودواء ليس بعده داء، ونوراً ليس معه ظلمة... وبرهاناً لمن تكلّم به... وعلماً لمن وعى...**»[٩٩]. والتأمّل في كلام الإمام المعصوم(ع) هذا يدلّ على أنّه ليس لرسالة القرآن بُعد عقلي أو فقهي فقط

Downloaded from aijh.modares.ac.ir at 10:32 IRDT on Monday August 31st 2020

فسيروي عطش العلماء العلمي أو أنّه علاوة على إرواء أرض قلوب الباحثين يكتفي بتزيين القلوب بالثقافة فقط بل يسعى إلى أن ينتج في مزرعة القلب الناضرة فواكه العمل الصالح، و يبادر إلى السير والسلوك ليبين طريقة ورسم ارتباط العلم بالعمل. وكما جاء في وصف الكوثر أنّ من شرب منه لايشعر بالعطش. فقد قيل عن القرآن الكريم أيضاً أن من يستفيد منه سيزدل عنه كل نوع من الأمراض والظلمات و...

وأخيراً لابدّ من الإشارة إلى أنّ جميع رسالات القرآن التي تمّ شرح بعضها في الفصول الماضية يمكن تنفيذها في ظل التنسيق مع العترة الطاهرة صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين و إلاّ فإنّه لا يمكن تحقيق أي هدف من هذه الأهداف السامية: بالوهم الباطل التمثّل بحسبنا كتاب الله، وذلك حسبما ورد في حديث الثّقلين عن الرسول الأكرم، أنّ هذين الوزنين العظيمين لايمكن أن ينفصلا في أيّة مرحلة من المراحل، وتوهم انفصال كل منهما عن الأخر كزعم تجزئة الشيء البسيط الذي يعتبر معادلاً لنفي أصل ذلك البسيط. يقول الإمام عليّ(ع) في ضرورة الرجوع إلى أهل بيت العصمة والطهارة(ع): «**وأعلموا أنّكم لن تعرفوا الرُّشد حتّى تعرفوا الذي تركه، ولن تأخذوا بميثاق الكتاب حتّى تعرفوا الذي نقضه، ولن تمسكوا به حتّى تعرفوا الذي نبذه، فالتمسوا ذلك من عند أهله(ع)**». والرجاء أن تصبح قلوب الجميع مرتعاً للقرآن و أهل البيت(ع).

المصادر والهوامش :

١ ـ سورة الإسراء (١٧)، الآية ٥٥.
٢ ـ سورة البقرة (٢)، الآية ٢٥٣.
٣ ـ سورة المزمّل (٧٣)، الآية ٥.
٤ ـ سورة المائدة (٥)، الآية ٤٨.
٥ ـ سورة آل عمران (٣)، الآية ١٩.
٦ ـ مفاتيح الجنان، دعاء ليلة البعثة.
٧ ـ نهج البلاغة، الخطبة ١٤٧.
٨ ـ سورة الشعراء (٢٦)، الآيتان ١٧٣ ـ ١٧٤.
٩ ـ سورة البقرة (٢)، الآية ٢٨٥.
١٠ ـ سورة النساء (٤)، الآية ١٥٢.
١١ ـ سورة الملك (٦٧)، الآية ٤٨.
١٢ ـ سورة الروم (٣٠)، الآية ٣٠.
١٣ ـ سورة الملك (٦٧)، الآية ١٤.
١٤ ـ سورة الإنشقاق (٨٤)، الآية ٦.
١٥ ـ سورة هود (١١)، الآية ٥٦.
١٦ ـ سورة يونس (١٠)، الآية ٣٥.
١٧ ـ سورة الأحزاب (٣٣)، الآية ٦.
١٨ ـ سورة البقرة (٢)، الآية ١٢٠.
١٩ ـ سورة فصّلت (٤١)، الآية ٤٢.
٢٠ ـ سورة البقرة (٢)، الآية ١٨٥.
٢١ ـ سورة البقرة (٢)، الآية ٢.
٢٢ ـ سورة الإسراء (١٧)، الآية ٩.
٢٣ ـ سورة الإنسان (٧٦)، الآية ١.
٢٤ ـ سورة الفجر (٨٩)، الآيات ٢٧، ٢٨، ٢٩ و ٣٠.
٢٥ ـ سورة الرّحمن (٥٥)، الآية ٢٩.
٢٦ ـ سورة الأنفال (٨)، الآية ٢٩.
٢٧ ـ أُصول الكافي للشيخ يعقوب الكليني، باب حقيقة الإيمان واليقين.
٢٨ ـ سورة الفرقان (٢٥)، الآية ١.
٢٩ ـ سورة النازعات (٧٩)، الآية ٤٥.
٣٠ ـ سورة فاطر (٣٥)، الآية ٢٨.
٣١ ـ سورة آل عمران (٣)، الآية ١٨.
٣٢ ـ سورة الأنعام (٦)، الآية ١١٦.
٣٣ ـ سورة يونس (١٠)، الآية ٣٦.
٣٤ ـ سورة والنجم (٥٣)، الآية ٢٣.
٣٥ و ٣٦ ـ سورة البقرة (٢)، الآيتان ٢ ـ ٤.
٣٧ ـ سورة الأنعام (٦)، الآية ٧٥.
٣٨ ـ سورة الأعراف (٧)، الآية ١٨٥.
٣٩ ـ سورة الحجر (١٥)، الآية ٩٩.
٤٠ ـ سورة التكاثر (١٠٢)، الآية ٥.
٤١ ـ سورة آل عمران (٣)، الآية ٣١.
٤٢ ـ نهج البلاغة، الخطبة ٢٢٢.
٤٣ ـ الصحيفة السّجّادية.
٤٤ ـ سورة الحجرات (٤٩)، الآية ١٠.
٤٥ و ٤٦ ـ سورة الممتحنة (٦٠)، الآيتان ٨ ـ ٩.
٤٧ ـ سورة التين (٩٥)، الآية ٤.
٤٨ ـ سورة الإسراء (١٧)، الآية ٥٣.
٤٩ ـ سورة البقرة (٢)، الآية ٨٣.
٥٠ ـ سورة فصلت (٤١)، الآية ٣٤.
٥١ ـ سورة النساء (٤)، الآية ١٩.
٥٢ ـ سورة البقرة (٢)، الآية ٢٢٩.
٥٣ ـ سورة الإسراء (١٧)، الآية ٢٣.
٥٤ ـ سورة الحديد (٥٧)، الآية ٢٥.
٥٥ ـ سورة المائدة (٥)، الآية ٨.

Downloaded from aijh.modares.ac.ir at 10:32 IRDT on Monday August 31st 2020

٥٦ ـ سورة النساء (٤)، الآية ١٣٥.
٥٧ ـ سورة البقرة (٢)، الآية ١٧٩.
٥٨ ـ سورة الإنعام (٦)، الآية ١٦٥.
٥٩ـ سورة الزخرف (٤٣)، الآية ٣٢.
٦٠ـ سورة الحجرات (٤٩)، الآية ١١.
٦١ـ سورة طه (٢٠)، الآية ٤٤.
٦٢ـ سورة طه (٢٠)، الآية ٧٨.
٦٣ـ سورة آل عمران (٣)، الآية ١٥٩.
٦٤ و ٦٥ـ سورة الشعراء (٢٦)، الآيتان ٢١٥ و ٢١٦.
٦٦ـ سورة الإسراء (١٧)، الآية ٢٥.
٦٧ـ سورة الحجرات (٤٩)، الآية ١٢.
٦٨ـ سورة الصافات (٣٧)، الآية ٦.
٦٩ـ سورة الكهف (١٨)، الآيتان ٧ ـ ٨.
٧٠ـ سورة الحجرات (٤٩)، الآية ٧.
٧١ـ سورة الفجر (٨٩)، الآية ٢٠.
٧٢ و ٧٣ـ سورة العاديات (١٠٠)، الآية ٨.
٧٤ـ نهج البلاغة، الخطبة ١٦١.
٧٥ـ سورة الحشر (٥٩)، الآية ٧.
٧٦ـ نهج البلاغة، الخطبة ٣.
٧٧ـ سورة الفجر (٨٩)، الآيتان ١٥ ـ ١٦.
٧٨ـ فروع الكافي، كتاب المعيشة، باب الإستعانة بالدنيا على الآخرة.
٧٩ـ سورة النساء (٤)، الآية ١٧٤.
٨٠ ـ سورة الأنعام (٦)، الآية ٩١.
٨١ ـ سورة إبراهيم (١٤)، الآية ١.
٨٢ ـ سورة البقرة (٢)، الآية ٢٥٧.
٨٣ ـ سورة الحديد (٥٧)، الآية ٢٨.
٨٤ ـ سورة إبراهيم (١٤)، الآية ٥.
٨٥ ـ نهج البلاغة، الكلمات القصار.
٨٦ ـ نهج البلاغة، الرسالة ٣.
٨٧ ـ سورة النساء (٤)، الآية ٥٩.
٨٨ ـ نهج البلاغة، الرسالة ٥٣.
٨٩ و ٩٠ ـ سورة المائدة (٥)، الآية ٣.
٩١ ـ سوره الصّف (٦١)، الآية ٩.
٩٢ ـ سورة الغافر (٤٠)، الآية ٢٦.
٩٣ ـ سورة البقرة (٢)، الآية ٧٩.
٩٤ ـ سورة التوبة (٩)، الآية ٢٩.
٩٥ ـ سورة الأنفال (٨)، الآية ٣٩.
٩٦ ـ سورة البقرة (٢)، الآية ١٥١.
٩٧ـ نهج البلاغة، الخطبة الأولى.
٩٨ ـ سورة الشمس (٩١)، الآيتان ٧ ـ ٨.
٩٩ ـ نهج البلاغة، الخطبة ١٩٨.

پژوهشگاه علوم انسانی و مطالعات فرهنگی
پرتال جامع علوم انسانی